المحاضرة الأولى: دخول الاتراك العثمانيين إلى الجزائر

تمهيد:

في الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي؛ بهدف احتلال المنطقة وبسبب ضعف المقاومة المحلية، وغياب السلطة المحلية كان من الضروري ظهور قوة جديدة تقود عمليات التحرير ضد الاحتلال، فظهر الإخوة بربروس الذين سيلعبون دورا هاما في حماية السواحل الإسلامية وطرد الاسبان منها أداء لواجب الدفاع عن البلاد الإسلامية واستجابة لاستغاثات أهالي المدن الجزائرية.

كيفية انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية ودور الاخوة بربروس في ذلك

– انتقل نشاط عروج وأخويه في أوائل القرن 16م إلى الحوض الغربي للمتوسط، واستقروا بجزيرة جربة بتونس سنة 1504م، التي اتخذوها قاعدة لانطلاقهم في عملياتهم البحرية.

– واصل الإخوة نشاطهم البحري، واكتسبوا شهرة كبيرة في حوض البحر الأبيض المتوسط؛ بفضل الشجاعة التي كانوا يتميزون بها، والتي أظهروها في نشاطهم الجهادي التطوعي ضد المسيحيين، ونجدتهم لمسلمي الاندلس من بطش محاكم التفتيش الاسبانية.

– في سنة 1516م قام أعيان وأهالي مدينة الجزائر بقيادة سالم التومي بدعوة الأخوين عروج وخير الدين بربروس إلى الجزائر وتسليمهم لواء قيادة المقاومة بعد أن بلغتهم انتصاراتهم الكثيرة على الإسبان في عرض البحر المتوسط، واستقبل الأهالي الاخوين استقبال الأبطال.

–أدرك الإسبان مدى الخطر الذي سوف تشكله مبايعة أهالي مدينة الجزائر لعروج، فقاموا بتحريض شيخ مدينة الجزائر سالم التومي، ومن بعده ابنه يحيى بن سالم التومي لكي يقوما بتحريض الأهالي على التمرد ضد الأتراك، فاستجاب لهم الشيخ سالم التومي وقام بإثارة بعض أعيان المدينة وأهاليها، إلا أن عروج تمكن من قمع ثورة الشيخ سالم (قام باغتياله) وابنه، الأمر الذي جعل صيته ينتشر أكثر ويرسخ صورته في الأذهان بكونه منقذ وحامي الجزائر خاصة بعد نجاحه في هزيمة الحملة الاسبانية على مدينة الجزائر سنة 1516م.

– بعض الحاقدين على الاخوة بربروس ينشروا أكاذيب وخرافات مفادها أن قدومهم إلى الجزائر كان بهدف المصلحة الشخصية ورغبة في حكم مدينة الجزائر، والاشنع من ذلك أن عروج أراد الزواج من زوجة سالم التومي التي تدعى زفيرة، والتي فضلت الانتحار على قبولها بهذا العرض.

– إن الحقائق والاحداث التاريخية تبين بوضـــوح أن الاخوة بربروس قدموا تضـــحيات كبيرة في ســـبيل تحرير المدن الجزائرية وأن مجيئهم إليها كان بغرض الدفاع ونصرة إخوانهم المسلمين ضد الاسبان المسحيين، ومن هذه التضحيات أن عروج قطعت يده في محاولته الأولى لتحرير مدينة بجاية ســـنة 1512م، والاكبر من هذا هو اســـتشـــهاد عروج وأخيه إسحاق دفاعا عن المدن الجزائرية سنة 1518م.

الملحق 01: صورة لعروج بربروس، حيث تظهر يده التي قطعت أثناء محاولته تحرير بجاية

– تمكن عروج في الفترة مابين 1512–1518م من تحرير العديد من المدن الســاحلية الجزائرية والتصــدي للحملات الإســبانية التي كانت تهدف إلى إعادة احتلالها، وفرض على الإســبان الانتقال من الهجوم إلى الدفاع عن الحصــون والقلاع التي كانوا يحتلونها، إلا أن استشهاده بتلمسان سنة 1518م حال دون تمكنه من تحرير بقية المدن الساحلية في شرق وغرب الجزائر.

– بايع أهالي مدينة الجزائر خير الدين بربروس بعد اســتشــهاد أخيه عروج في تلمســان، فأدرك هذا الأخير أن تحرير ســـواحل الجزائر، يقتضـــي دعم دولة قوية كالدولة العثمانية فأقنع أعيان مدينة الجزائر بضـــرورة مراســـلة الســـلطان العثماني، وإعلان تبعيتهم له حتى يقوم هذا الأخير بفرض حمايته على الجزائر ودعم أهلها للتصــدي للإسـبان، فاقتنع

العلماء وأعيان الجزائر باقتراح خير الدين وأرسلوا وفدا عنهم إلى إستانبول عرضوا من خلاله رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية، فقبل السلطان عرضهم وأصبحت الجزائر إيالة تابعة للدولة العثمانية اعتبارا من هذا التاريخ أي من سنة 1519م.

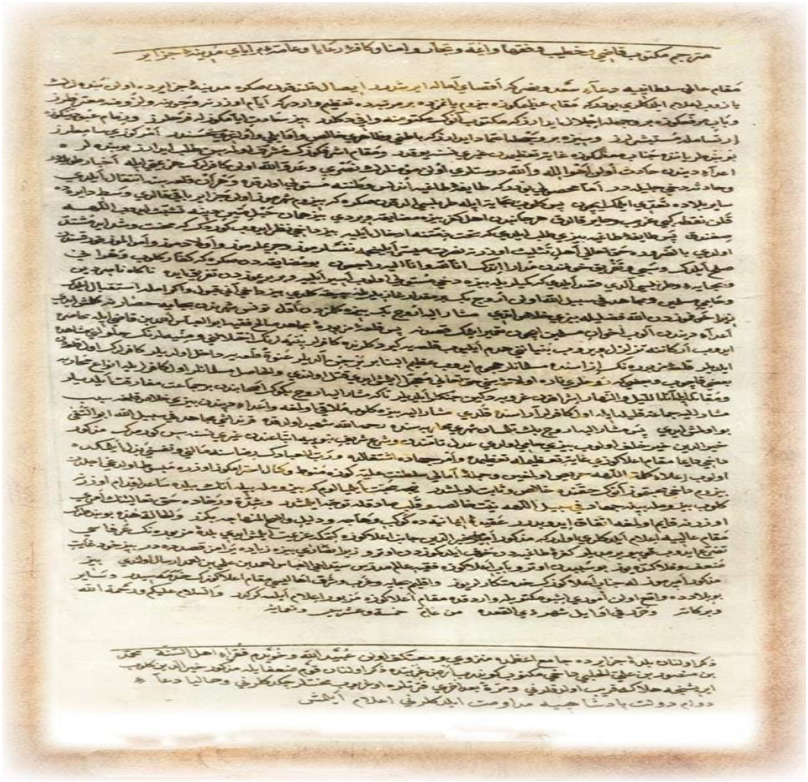

ملحق 02: رسالة أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان العثماني سنة 1519م، يعرضون فيها طلب انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية

– جعل العثمانيون من الجزائر إيالة ذات وضعية متميزة، وعين خير الدين بربروس بيلرباي عليها، وفي الوقت نفسه تم تعيينه قائدا عاما للأسطول العثماني فصارت الجزائر بذلك مركزا للعمليات العسكرية البحرية في غرب المتوسط. وهكذا ارتبطت جميع التطورات السياسية والعسكرية في شمال إفريقيا، وإسبانيا، وغرب أوربا بالجزائر

إن انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية يمثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ الجزائر المعاصر، فهو سوف يشهد ميلاد دولة جزائرية جديدة تمتد تقريبا على نفس الحدود الجغرافية التي تمتد عليها الآن، كما سوف تشهد هذه المرحلة بروز الشخصية السياسية المتميزة للجزائر نتيجة لطبيعة الموقع الجغرافي، والدور السياسي والعسكري الذي لعبته من تاريخ هذا الانضمام.